قضايا منهجية في دراسة النص القرآني بين الموروث والمعاصرة

أ.د. حسن منديل حسن العكيلي
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات

مهاد في منهج البحث:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم . وبعد.

فإن بواعث البحوث العلمية، والحاجة إليها، والأسس التي تبنى عليها والمناهج التي تنتهجها ومنطلقاتها الفكرية، هي مؤثرات في خطوط البحث العلمي ونتائجه. وإنّ جوهر العلم نظامه. وماهية الشيء وحقيقته، الكشف عن نظامه وربطه بالنظم الأخرى والنظام الكوني العام، كما ترى الفلسفة البنائية. والبحث العلمي الرصين هو تنظيم المعلومات ووضع الأشياء مواضعها من النظام العام. واستقراء الشيء ثم تنظيمه يؤدي الى معرفته والى الحقائق العلمية الرصينة، وعلى هذا يقوم علم المنطق الذي يعصم التفكير من الخطأ، لذلك اختلط مع علم اللغة وأفرغت بعض مباحثه وتصوراته في الموروث النحوي الذي هو أوضح نظم اللغة العربية.

من هنا ينطلق منهجنا إن شاء الله في تناول نظام اللغة العربية لبلوغ حقيقتها وجوهرها. فالعلم بحث عن حقيقة مرتبطة بالنظام العام، ونظام اللغة العربية خير ما يمثل هذا النظام. إذ هي من صنع البارئ عزّ وجلّ ومشيئته، للتعبير عن المعنى تعبيرا دقيقا، فأنزل بها كتابه الكريم الذي يهيمن على الكون والوجود والأنظمة كلها، مرتبط بنظام لغته العربية المبينة ارتباطاً عضوياً لا يمكن فصلهما كما أكّد ذلك أحد المستشرقين()

وكلا النظامين النظام القرآني والنظام اللغوي للعربية يقوم على المشابهة وتعلق بعضه برقاب بعض وتفسير بعضه بعضاً كما سنرى من غير اختلاف ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾ (سورة النساء:٨٢) ، وسائر أنظمة الكون مبنية على نظام التشابه والتعلق.

إنّ دراسة النصّ القرآني دراسة نحوية دلالية أسلوبية لذاتها تنأى عن الدراسة التي تأتي عرضاً في أثناء المنافحة عن القرآن واثبات إعجازه الذي هو دليل صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والوقوف أمام

التيارات العدائية للدين الإسلامي والشبهات التي أثيرت حول النص القرآني والطعن الموجه لأسلوبه ونظمه ومعانيه. وإثبات أن القرآن نزل بلغة العرب وأساليبها ومجازاتها كما لدى الأشاعرة والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم. يتضح ذلك من مصادر البلاغة الأولى (كمجاز القرآن) لأبي عبيدة (٢١٠هـ) ورسائل الجاحظ وكتبه[١] ، وابن قتيبة (٢٧٦هـ) في (تأويل مشكل القرآن) وكتب إعجاز القرآن ناهيك عن خلطهم النص القرآني بالقراءات القرآنية ولاسيما الشاذة منها والمستويات اللغوية الأخرى.

من هنا يشترط علينا تحديد منهج الدراسة اللغوية وأهدافها وأسسها والتزام الرصانة العلمية والموضوعية والتحقق من الموروث اللغوي قبل البناء عليه، ومن نتائجه ووسائله. يقول تمام حسان: إذا درست اللغة بمنهج جديد ، فسوف تخرج بنتائج جديدة[٢].

تحدد دراستنا في النص القرآني المحفوظ بين دفتي المصحف (الإمام)، وعدم خلطه بالمستويات اللغوية الأخرى كالقراءات واللهجات والضرورات الشعرية وسائر الأدلة النقلية الأخرى فما يرد في الدراسة من ذكر (اللغة العربية) نقصد بها (النص القرآني) أو عربية القرآن الكريم.

والأساس العلمي الأخر الذي يبنى عليه منهج البحث هو: ملاحظة:

خصوصية أسلوب القرآن من حيث المرسل والرسالة والمرسل إليه، ومن حيث دلالات الرسالة، وطريقة نقلها من عالم الغيب الى عالم الشهادة.

فالمرسل خالق الرسالة[٣]، خالق كل شيء واحد أحد صمد ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ★ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ (سورة الإخلاص ٣-٤) ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)(سورة الشورى: الآية١١) ، ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (سورة الأنعام:١٠٣)، ﴿ **نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ (سورة النور: الآية٣٥)، وغير ذلك من الصفات غير المتناهية التي تفرّد بها المرسل ﷻ . قال تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (سورة الزمر:٦٧)

أما المرسل إليه فعام من انس وجان في كل مكان وزمان ، وهو خاص من حيث الإقبال على الرسالة بقلب مطمئن وليس كل متلقٍ لها. إذ ثمة صلة روحية بين المتلقي والرسالة ، تختلف من متلقٍ إلى آخر بحسب إيمانه وثقافته وعصره وهدايته وسلوكه إلى الله تعالى.

أما الرسالة وهي النص القرآني فرسالة منفتحة، ثابتة الألفاظ متحركة المعانى تصلح لكل متلقٍ في كل زمان ومكان كونها تحمل الحقيقة المطلقة ، تحمل دلالات بعضها فوق طاقة العقل الإنساني واستيعابه ولاسيما في تعبيرها عن الغيب ، دلالات شاملة لمخلوق عام ، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**

---

[١] ينظر رسائل الجاحظ ١٨٦/٣ والحيوان ٨٥/٥.

[٢] اللغة العربية والحداثة ، د. تمام حسان ، مجلة فصول م٤ ع٣ ١٩٨٤.

[٣] لا نقصد بذلك قضية (خلق القرآن) ولا نسعى الى إيقاظ (النائمة)، لكنا نريد أنها رسالة تنأى عن كل رسالة مما يتناوله علم اللغة الغربي الحديث.

أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة:٣٤) ، لم يدرك العقل البشري الملائكة : وكيفية سجودهم إذ لا يمكن تصور المعنى في الحياة الدنيا المادية وإن أسعفنا الخيال والتجريد والتشخيص ، والآيات من هذا النوع كثيرة التي تصف الغيب وأحداثه لكن يمكن الاستدلال بهذا أن الرسالة صالحة لكل المتغيرات الزمانية والمكانية وعالم الغيب والشهادة. فقد يكون معنى الملائكة : —والله اعلم- ما نحس آثاره ولا نراه مما يحفظ الكون ويديم الحياة كالهواء والماء والكهرباء والأثير والظواهر الكونية والكيمائية والفيزياوية ، تطوعت لخدمة الإنسان عن طريق علم الإنسان بها وبأسمائها بأمر من الله تعالى ، فعبّر عن هذا التسخير بـ: (فسجدوا) وفي اللغة (السجود) لمطلق التسخير[٤] أي سخّر الله تعالى الملائكة لخدمة الإنسان وحفظه في الحياة الدنيا. فأسلوب القرآن يتفرد بوصفه للحقيقة المطلقة الشاملة فوق المؤثرات الزمنية والمكانية وما يدركه العقل البشري وما لا يدركه ، فيصف وصفاً دقيقاً الأشياء ليستوعبها العقل وقد أشار أكثر من باحث معاصر إلى ذلك كالدكتور محمد شحرور[٥]. وعالم سبيط النيلي الذي قال " اللفظ عند المخلوق له معنى اتفاقي اصطلاحي ، وفي كلام الخالق له معنى أصلياً " سماه (المعنى الحركي) وهو أصل جميع المعاني لا يتغير ،لأنه حقيقة الشيء في مقابل ، (المعنى الاصطلاحي)[٦].

فالنص القرآني ينأى عن النص البشري بكل أنواعه لذلك يشترط على الدارس ملاحظة تلك الخصوصية ودراسته دراسة خاصة تنأى عن دراسته النصوص الأخرى. كما نجد في الموروثين : النحوي والبلاغي وكذلك في أطروحات علم اللغة الحديث ومناهجه ، لم تلحظ خصوصية الرسالة في النص القرآني فكثير من أطروحاتهم كالوصفية والتوليدية والسيميائية والتاريخية وكذلك الأسلوبية وغيرها.

كقوانينهم في تطور اللغات أو تقسيم اللغات على فصائل وأسر وعدّهم فكرة نشأة اللغات والمفاضلة بينها ضرباً من الأساطير ، وقولهم باعتباطية اللغة وهو تحول يتقاطع مع النظام المحكم للغة العربية. وغير ذلك مما ستناوله مفّرقاً في ثنايا الأطروحة.

ولا يمكن دراسة نص القرآن الكريم في ضوء الشواهد المجتزة والموضوعة أحيانا ، وقد أنكر بعض العلماء ذلك. قال الإمام ابن حزم الظاهري : "ولا عجب ممن أن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو سلمي... أو سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر، جعله في اللغة وقنع به ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن موضعه، ويتحيل في إحالته عمّا أوقعه الله تعالى"[٧].

---

[١] اللسان: (سخر).

[٢] ينظر القرآن والإنسان ، د. محمد شحرور ١٨.

[٣] النظام القرآني ١٠.

[١] ينظر: القياس في العربية ٢٩ ، دراسات لغوية ، د. عبد الصبور شاهين ٦٤.

وقال أبو حيان الأندلسي رداً على أبي البقاء العكبري في كتابه: (إعراب ما منّ به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن): "على حدٍّ ما يجري في شعر الشنفرى والشماخ من تحوير الأشياء البعيدة والتقارير المستغني عنها، ونحن ننزه القرآن عن ذلك"[٨].

ركز النحاة والبلاغيون على الأعجاز اللغوي لانبهارهم به وبأسلوب القرآن المتفرّد فقد استغرق الوجه الخاص بلغة القرآن من وجوه الإعجاز أكثر من نصف مؤلفاتهم في الإعجاز كالزركشي في (البرهان في علوم القرآن) والسيوطي في (معترك الأقران)....[٩].

المبحث الأول:

دراسة النص القرآني في ضوء الدرس اللساني الحديث

هل تصلح أطروحات علم اللغة الحديث ونظرياته من حداثة وما بعد الحداثة والاسلوبية الحديثة والمناهج النقدية الحديثة درساً وتحليلاً وتطبيقاً على النصّ القرآني كما هي من غير اعتبار لخصوصية النصّ القرآني ونظامه الذي ينأى عن أنظمة اللغات الغربية ولاسيما الإنجليزية والفرنسية وغيرهما مما كانت ميداناً ومرتكزاً وتطبيقاً للاسلوبية ، ناهيك عن الأهداف والغايات التي سعت إليها ، ولاسيما موقفها من العدول النحوي والأسلوبي، أو الانزياحات ، والأنموذج المعيار لتلك الانزياحات.

إنّ مناهج الدراسات اللغوية والنقدية والاسلوبية الحديثة كثيرة ومتشعبة لا يمكن الاحاطة الكاملة بها وبتفاصيلها ودقائقها[١٠] أو تطبيقها كما هي تطبيقا تقليدياً على النص القرآني، وليس من وكدنا ذلك بقدر الإطلاع عليها وفهمها والاستفادة مما يصلح منها لدراسة النصّ القرآني والعدول في نظامه التركيبي ، وانتخاب ما يلائمه من نظريات الاسلوبية العامة ومناهجها كونها تطبيقاً ألسنياً على الأدب او اللغة الإبداعية. والتركيز على أهمية الاتجاه اللساني في دراسة لغة الأدب لا التناول الأدبي والنقدي الفلسفي في ضوء علوم مختلفة. ولا نكرر ما يملأ كتب النقد الأدبي وعلم اللغة الحديث والاسلوبية وغيرها، ونركز على ما له صلة بالنظام التركيبي في النصّ القرآني وصلته بالدلالة وظلالها التي تسمى بالمعاني الثانية وهي دلالات فنية إبداعية لا تؤديها اللغة المباشرة التي أطلق عليها المعاصرون: اللغة النفعية الايصالية او المثالية.

إذن ثمة مشكل في التناول الأسلوبي والمناهج الغربية الحديثة ومحاذير ينبغي الوقوف عليها فضلاً عن علمانيتها وارتباطها بالفكر الغربي المادي او الديني على وفق العقيدة المسيحية او العلمانية، التي تتقاطع مع الجانب الروحي للنصّ القرآني والنظرة القدسية له وللغة العربية.

والنقد العربي الحديث متأثر بالنقد الغربي ومتابع له ومتطفل عليه ولاسيما بالفلسفات المادية، على الرغم من تراثه الغني المبني على النصّ القرآني خاصة. والنقد الغربي الحديث مبني على نصوص الأدب العالمي كجان جاك روسو وغيره وعلى إحياء أساطير تبناها الأدب المعاصر فإذا كان التقاؤهم في الأدب الإنساني والتجربة الإبداعية

---

[٢] البحر المحيط ٥ / ٦٥.

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٣٨٢. ومعترك الأقران ١/٥١٤.

[١] علم الاسلوب ، فضل ٧.

للأديب لكنهم لا يلتقون في تحليل النص القرآني وخصوصيته وارتباطه بالعربية ونظامها المحكم الذي يختلف عن أنظمة اللغات الأخرى. النصّ المرتبط بالخالق عزّ وجل (المرسل) وبالجانب الروحي لدى (المتلقي) و(الرسالة) المنقولة من الغيب.

"ورغبة من النقد العربي المعاصر في مواكبة الاتجاهات النقدية العالمية الحديثة ، حاول ترجمة هذه الدراسات النظرية ، وقليلاً ما قام بتطبيقها بالصورة السليمة والموضوعية على النصّ العربي ، ومن هنا برزت مشكلة التنافر وعدم التآلف – في اغلب الأحيان- بين المادة المترجمة والإبداع العربي ، بين المنهج الغربي وأدبنا في مختلف البلدان العربية[١١]. ويبدو ان جل الدارسين العرب ينظرون للطرح الغربي في اللغة والنقد نظرة إعجاب وإكبار لما شهده الغرب من تطور في الميادين العلمية المختلفة. وهذا قد لا ينطبق على علوم اللغة فالموروث اللغوي والبلاغي والنقدي العربي لا يقل أهمية عما يطرحه الغربيون المعاصرون.

الأسلوب والأسلوبية:Stylistique

لكثرة تعريفات الأسلوب والأسلوبية هجر بعضهم هذا الاصطلاح ، فقد تنوع مفهوم الاسلوب بحسب المناهج المختلفة واللغويين وكبار النقاد وبحسب التأثر بالفلسفات والعلوم: علم النفس ، الألسنية ، النقد ، علم الجمال، علم الاجتماع، علم النفس وغيرها. وبحسب المخاطب والمخاطب والخطاب[١٢].

وتنوع المفهوم العصري لعلم الأسلوب فشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وصيغ وكلمات ، وتراكيب ، وتداخل مع علم الأصوات والصرف والدلالات والتراكيب والألفاظ. للإبانة عن الخواطر والانفعالات والصور وبلوغ أقصى درجات التأثير الفن [١٣]. ويرى بعضهم: أن الأسلوب خارج عن مستويات اللغة الصوتي والصرفي والنحوي أي الشكل وهو ظاهرة ذات أصل فردي[١٤].

وثمة تعاريف أخرى كثيرة لم تسلم من نقد وغموض وتقاطع[١٥]: ولسنا ملزمين بذكرها كلها. و"لا يمكن هنا الادعاء بوجود مفهوم واحد للاسلوب كما لا يمكن القول بوجود طريقة واحدة لدراسته بل إن التعدد كائن في لبنية المفهومية، كما هو كائن في القراءات التحليلية، ولعل ذلك راجع الى تعدد المداخل نفسها إذ هي تتكئ أحيانا على الجانب العاطفي ، وعلى الجانب العقلي أحياناً ، وتبتعد عن هذا وذاك أحياناً ثالثة لتبدأ من منطقة محايدة ..."[١٦].

---

[٢] مفهومات في بنية النص ٤-٣ ، والنقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا ٣٨٣ ومابعدها ، والمصطلحات الادبية الحديثة ٣١ وما بعدها.

[١] الاسلوب والاسلوبية ١٠.

[٢] المعجم الادبي ٢١.

[٣] علو الأسلوب ١١.

[٤] الأسلوبية والأسلوب ١٢.

[٥] قضايا الحداثة ٥.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

أما الأسلوبية: فعلم حديث تأسست قواعدها لدى بالي سنة ١٩٠٢ مستفيداً من استاذه سوسير الذي أرسى الألسنية الحديثة[١٧]. فالاسلوبية الأولى لسانية عند بالي ثم تطورت واتجهت اتجاهات مختلفة ، ثم أصبحت تعني الانزياح لكنهم لم يتفقوا على معيار يقيسون عليه الانزياح[١٨].

ولكون الأسلوبية علماً حديثاً ما يزال يتطور لم تكتمل بعد ولوجوهها العديدة وعدم استقرارها وعلمانيتها، كثرت تعريفاتها كما تعددت تعاريف الاسلوب وتقاطعت. ويبدو ان الجامع بين تعاريف الاسلوب والاسلوبية ومفاهيمهما انهما اختيار وتوزيع والعدول عن المألوف سواء في البنى والتراكيب والأصوات او في الدلالة، والاهتمام بالتحليل الفني للنصّ.

فالأسلوبية "بحث علمي للطرائق المستعملة في التعبير عن الخواطر، وعلم الاسلوب يرشدنا الى اختيار ما يجب أخذه من اللغة للتوصل الى التأثير في المتلقي شريطة احترام قواعد اللغة"[١٩].

"تبحث الاسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التي تميّز النصّ عن آخر ، او الكاتب عن كاتب آخر ، من خلال اللغة التي يحملها خلجات نفسه وخواطر وجدانه"[٢٠] وتحاول الاسلوبية الإجابة عن كيف يكتب الكاتب نصّاً من خلال اللغة؟ إذ بها ومنها يتأتى للقارئ استحسان النص او استهجانه.

و"تنفي (الاسلوبية) عن نفسها المعيارية وإرسال الأحكام التقيمية بالقبول او بالرفض يضاف الى ذلك أنها لا تسعى الى غاية تعليمية البتة ، ناهيك عن حرصها الشديد على تعليل الظواهر الاسلوبية في مقارباتها النصوص الإبداعية بشيء من العلمية الوصفية ، على النقيض مما تعاملت به البلاغة"[٢١].

ولم تسلم الاسلوبية من الانتقادات كما لم يسلم (الاسلوب) فمن الملاحظ التي يمكن ان تلاحظ على الاسلوبية ان الاسلوبيين حدّدوا عملها باللغة الإبداعية وتأثيرها بالمتلقي لا اللغة النفعية التواصلية ، لكنّ اسلوبية بالي (رائد الاسلوبية المعاصرة) التي تسمى بالتعبيرية حدّدها باللغة اليومية الشائعة (النفعية).

وعلى الرغم من أنّ الاسلوبية تعنى بالتأثيرات الجمالية، وتناولها اللغة الإبداعية فان بعض مناهجها تعتمد طرقاً لحساب التكرار النسبي بغية الدقة العلمية واستخدام الحسابات الالكترونية لرسم جداول التكرار للسمات التي يقال عنها انها تصف أسلوباً مميزاً[٢٢] مغفلاً وظائف المفردات النحوية في سياقها[٢٣] وهو أمر وان كان علمياً إلا انه يتقاطع مع الجمالية في أحيان كثيرة[٢٤]. واستعمال الجداول الرياضية للجرد الاسلوبي وهو إحصاء الأنماط وقياسية في النصّ واعتمادها على التحليل الوصفي للغة ، ثم على النحو التحويلي والبناء السطحي والبناء العميق[٢٥].

---

[٦] الاسلوبية والاسلوب ، المسدي ٢٠.

[٧] مفهومات في بنية النص ٦٩.

[١] قضايا الحداثة ٢١-٢٢.

[٢] الاسلوب بين التراث البلاغي العربي والاسلوبية الحداثية ٥.

[٣] نفسه ٧ .

[٤] الاسلوبية وتحليل الخطاب ٦٠.

[٥] الاسلوبية والبيان العربي ٢١.

[٦] النحو والدلالة ١٧٣.

[٧] في النقد اللساني ١٦٩.

كثير من الدارسين عارضوا الاسلوبية والنظريات النقدية المختلفة التي تتبناها ذلك "بانها صيغت في بيئات وظروف حضارية مباينة كل المباينة لما نحن عليه ، وبأن الحاطبين في حبالها ينقلونها الى ثقافتنا غريبة الوجه واللسان ويجعلون من النص العربي قرباناً يسترضون به هذه الصراعات المتلاحقة في بلاد الغرب"[٢٦].

فضلاً عن الإسراف باستعمال المصطلحات الرنانة هدفاً لدى بعضهم ولاسيما الأدباء والنقاد والشعراء غير الاكاديميين الذين بنوا ثقافاتهم على الصحف والمجلات لا التخصص الدقيق الاكاديمي وسعة الإطلاع بالموروث العربي الإسلامي.

"النقد الأهم الذي يوجه الى الاسلوبية يتمثل في عدم عدّها علماً لأنها لم تنجح في حصر موضوعاتها ولا مناهجها ، من جهة ثانية انتزع تطور اللسانية الاسلوبية من بعض مجالاتها الأصلية محدثاً بذلك إعادة توزيع لجميع الأعمال التي وضعت حتى الآن بأنها اسلوبية في مجالات جديدة... وقد وصل الأمر الى درجة ان اريفي Arrive أعلن موتها"[٢٧].

المبحث الثاني:

جذور الأسلوبية في الموروث البلاغي العربي :

كثير من الدارسين العرب يرون للاسلوبية الغربية جذوراً وأصولاً في الموروث العربي: البلاغي والنحوي والأدبي والنقدي وفي كتب الإعجاز التي تناولت النصّ القرآني وإعجازه[٢٨] وكتب اللغة والبيان والبلاغة والنقد كابن المقفع والجاحظ والمبرد وابن المعتز وعبد القاهر وقدامة بن جعفر والامدي والقاضي الجرجاني ابن طباطبا العلوي والسكاكي وابن خلدون والسكبي والتفتزاني وغيرهم.

قال د. عياد: "إن الاسلوب يكون أكثر تحديداً لدى النقاد المغاربة: حازم القرطاجني في منهاج البلغاء ٦٨٤ هـ وابن خلدون ٨٠٨هـ"[٢٩].

قال باحث آخر: "نظرت في البلاغة العربية عند القدماء ، فوجدت ان قضايا كثيرة عرضوا اليها بأسماء مختلفة عن قواعد الاسلوبية الحديثة ونظرية السياق في العصر الحاضر"[٣٠] وقال آخر "علم الاسلوب ليس غريباً عن البيئة العربية ولاسيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين"[٣١].

---

[١] معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ١١٥ ، ٢١ والنحو والدلالة ١٨٠ وحيوية اللغة ٣١٧.

[٢] النقد اللساني ٢٣٥.

[٣] ينظر: الاسلوبية والبيان العربي ٢٧، واللغة والاسلوب ١٥-١٨ والبلاغة في ضوء الاسلوبية ٨-٩ ، وجدلية الافراد والتركيب ١٥٣ ، في المصطلح النقدي ١٢٥.

[٤] اللغة والابداع ١٩.

[٥] البلاغة في ضوء الاسلوبية ونظرية السياق ٧.

[٢] اللغة والاسلوب ١٥.

وأوضح صلة بينهما يبدو انهما يقومان على دراسة العدول او الانزياح دراسة فنية ، وشبّهوا قول البلاغيين بـ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وقولهم (لكل مقامٍ مقال)[٣٢] بفكرة بالي حول مسألة علاقة الأشكال اللغوية بالفكر[٣٣].

ويرون أن الاسلوبية وريثة البلاغة وعلم لغة النص ، وهو قول الغربيين ايضاً[٣٤] ولا اعرف كيف يوفقون بين معيارية البلاغة القديمة وعلمية الاسلوبية وتفلتها من المعيارية فضلاً عن انهم ينسبون لكل ناقد قديم او بلاغي فهماً خاصاً للاسلوب والاسلوبية فابن طبا طبا ربط مفهوم الاسلوب بصفة مناسبة الكلام بعضه لبعض وعبد القاهر بتوخي معاني النحو وابن خلدون بجعله "الاسلوب صورة ذهنية مهمتها مطابقة التراكيب المنتظمة على التركيب الخاص لأن الصناعة الشعرية هي بمعنى الاسلوب ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص"[٣٥].

وجلّهم يعد النظم الذي قال به عبد القاهر هو الاسلوب ، لذا رأى بعضهم ان عبد القاهر مؤسس الاسلوبية العربية ، وتناولوا البلاغة القديمة بأسماء جديدة ، من خلال مشابهة شكلية وتناول تقليدي ، او خلط بين المصطلحات القديمة والحديثة[٣٦].

وقارنوا بين عبد القاهر وسوسير وتشومسكي وبالي وكروتشة وغيرهم وعدّوه السبّاق عليهم[٣٧]. ورأى د. لطفي عبد البديع ذلك تلفيقاً ، قال ساخراً: "يضع قبعة هذا على رأس ذاك ويثبت عمامة ذاك على رأس هذا ، ويقول للاول كن كروتشة ، وللثاني وانت عبد القاهر"[٣٨].

والحق ان أوضح جهود القدامى يمكن عدّها اسلوبية تنسجم مع دراسة النصّ العربي الإسلامي يمكن تسميتها بالاسلوبية الاسلامية ولاسيما لدى علماء إعجاز القرآن فقد استعملوا مصطلح (الاسلوب) في بحوثهم حول إعجاز القرآن ويدل لديهم: "على الطرق المختلفة في استعمال اللغة على وجه يقصد به التأثير"[٣٩]، كما لدى الخطابي والباقلاني وابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم[٤٠]. ويبدو ان القدامى يقصدون بالاسلوب ما يخرج عن اللغة المألوفة ، وما سموه بطرائق العرب ومجازاتهم واساليبهم في الكلام.

وخير من وظّف مباحث إعجاز القرآن وعلم المعاني وطبقها على النصّ القرآني كله الزمخشري (٥٣٨هـ) فقد ابتكر طريقة جديدة في تفسير النص القرآني لم يسبق اليها[٤١] أسسها على علمي المعاني والبيان وتبعه مفسرون كثيرون ومايزال المعاصرون يحذون حذوها في الدراسات الاسلوبية القرآنية[٤٢].

---

[٣] البيان والتبيين ١/ ٦٢ والمفتاح ٩٠.

[٤] اللغة والابداع ٨.

[٥] علم لغة النص ٢٠-٢١، ٤٣ والاسلوبية ، جيرو ٢٧-٣٠ وجدلية الافراد والتركيب٥.

[٦] الاسلوب بين التراث البلاغي العربي والاسلوبية الحداثية٤، وجدلية الافراد والتركيب ٨٣ .

[٧] الاسلوبية والبيان العربي ٥،٨،٢٧، والبلاغة في ضوء الاسلوبية ٥-٧ ومحاضرات في تاريخ النقد عند العرب ٢٨٥-٣٥١.

[٨] قضايا الحداثة عند عبد القاهر ٢ ، ٧ ، والابعاد الابداعية في منهج عبد القاهر ١١.

[٩] التركيب اللغوي للادب ص (د).

[١] اللغة والاسلوب ١٥-١٨.

[٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٠ ، ١٩ وبيان اعجاز القرآن ، الخطابي ٦٠ واعجاز القرآن للباقلاني ٢٩٨.

[٣] مقدمة الكشاف ٣/١.

إن التطبيق الاسلوبي ينبغي ان يبنى على جوهر العربية وأسرار نظامها ، ذلك إنّ نظامها هو اسلوبها الذي يميزها عن سائر اللغات الأخرى. ومن غير ربط التحليل الاسلوبي بالنظام الكلي للعربية ، تعاني الدراسة الاسلوبية وتطبيقها على النصّ القرآني نقصاً كبيراً ، لا تتوصل الى نتائج علمية مستقيمة تتناسب مع أساليب العربية وطبيعتها المختلفة عن أنظمة اللغات الغربية وآدابها التي وضعت لها المناهج الاسلوبية الحديثة دراسةً وتحليلاً وتطبيقاً.

إنّ نظام النصوص العربية جزء من دلالاتها وإنّ العدول جزء من هذا النظام ، نحاول كشفه ، وفي ضوء الاسلوبية العربية الإسلامية للوقوف على أسرار العدول ودلالاته الثانية.

ولسنا ملزمين بمتابعة الأعمال السابقة والقراءات الاسلوبية السابقة وتقليدها، عربية كانت او غربية ، ولا نسعى الى أن يكون تطبيقنا الاسلوبي نسخة معدّله منها ، ولا إلى جعل المصطلحات الحديثة المترجمة او المستحدثة هدفاً ولا نتخذ المناهج الوافدة في تحليل النصّ القرآني المقدّس، او دراسة إعجاز القرآن دراسة غربية ملفقة لا ترى خصوصية لكلام الله تعالى كما فعل ذلك بعض الدارسين[٤٣] فهي إن صلحت لتحليل الشعر والقصة والأنواع الأدبية الأخرى، لا تصلح لدراسة النصّ القرآني إلاّ إكراهاً.

وكذلك توزيع الدراسة على مستويات لغوية أربع هي: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والتركيبي والدلالي، فضلاً عن التصويري او البياني، التي لا تكاد دراسة اسلوبية معاصرة او لغوية تخلو منها[٤٤].

ناهيك عن سعة الاسلوبية وعدم استقرارها وكثرة مناهجها ونظرياتها وتطفلها على علوم مختلفة ، وعدم الاتفاق على تعريف محدد لها.

لا نعني عدم صلاحية تطبيق الدرس الأسلوبي على العدول في النص القرآني قال د.محمد الدجيلي: "إن تطبيق النظرية الإنسانية على النصّ القرآني ليس إخلالاً بحرمة القرآن ، وإنما إضافة بعض موارد الكمال القرآني الى النظرية الإنسانية من مبدأ أن النصّ القرآني ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ (سورة فصلت:٤٢) ، إما النظرية الإنسانية فمثقلة بالباطل ، وقسم منها يدور في فلك الخيال ، أما النصّ القرآني فواقع دائماً"[٤٥].

إنّ مناهج الاسلوبية متعددة وفهمها يختلف بحسب هذه المناهج لكنها تتفق على استنباط الدلالات الإيحائية من النص ومكوناته. ومنهجنا يتصل بالاسلوبية من حيث استنباط الدلالات من نظام العربية والعدول الذي يحدث في ضوء هذا النظام نفسه والجديد الذي يمكن ان نقدمه الى ذلك وهو يتصل بموضوع الاسلوبية كونها تعنى بالدلالات غير المباشرة ، الدلالات الثانية او الأسرار البيانية التي يؤديها نظام العربية.

---

[٤] ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن، الجويني ٧٧.

[٥] ينظر: النقد والاعجاز ، د. محمد تحريشي.

[٦] ينظر: تأملات في سورة الدهر ، مجلة المورد ع٣ ، مج ١٨ ، والسور المدنية دراسة اسلوبية بلاغية ، وتقنيات المنهج الاسلوبي في سورة يوسف ، والسور المكية دراسة بلاغية اسلوبية (اطروحة) ، واطار التطبيق في الاسلوبية ، د. محمد الهادي الطرابلسي (بحث) مجلة الموقف الادبي ع ١٣٥ ، ١٣٦ ، ونظرية التلقي ، اصول وتطبيقات ، وما لا تؤديه الصفة وبنى الجدل في الخطاب القرآني (اطروحة).

[١] تقنيات المنهج الاسلوبي في سورة يوسف ٥.

فقد تحدّث البلاغيون عن حسن نظم العبارة القرآنية وجمال اسلوبها ودقة اختيار ألفاظها وملائمتها للمعنى وسبكها في تسلسل منطقي على وفق نظام متماسك ، وموقعها وشكل بنيتها والأصوات الموحية بدلالة بنية اللفظ والتركيب بحيث لا نجد بديلاً عنها في دقة التعبير و الاحاطة بالمعنى والمعاني المجازية التي تخرج إليها ، وما تناولوه البلاغيون في علوم المعاني والبيان والبديع ، وعلماء الإعجاز في حسن اسلوب القرآن ونظمه المتناسق: اصواتاً وبنى وتراكيب[٤٦]. وأعجبهم ذلك حتى عدّوه وجه الإعجاز القرآني.

إنما سببه (المشابهة) التي يبني عليها نظام اللغة العربية في مستوياتها: الصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية وغيرها ، كلها تنساق في ضوء نظام واحد هو تعليق الأصوات و الحروف والألفاظ والتراكيب والدلالات بعضها برقاب بعض وتحمل بعضها على بعض ، في المستوى اللغوي الواحد من العربية ، وفي المستويات بعضها على بعض ، نظام واحد مطّرد لأداء المعنى القرآني المطلق الذي لا اختلاف فيه ، الثابت كونه يحوي المتغيرات الزمانية والمكانية ، فهو كالمعادلات الرياضية الثابتة وان تغيرت الأعداد داخلها بحسب المتغيرات.

المبحث الثالث:

علم النص:

ومن المناهج اللغوية الغربية الحديثة التي عنيت بتحليل النصّ وتناوله وحدة كلية ، (علم اللغة النصي) او (علم النصّ) . وكانت عنايته بالجوانب المشتركة بين اللغات المختلفة ، لكن بعض المعاصرين العرب طبّقوه على النصّ القرآني بوصفه وحدة نصية متماسكة.

وعلم النصّ : فرع من فروع علم اللغة (الحديث) يعنى بدراسة النصّ بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى وذلك بدراسة جوانب عديدة تتصل بالنص أهمها الترابط او التماسك ووسائله وأنواعه والاصالة او المرجعية Reference وأنواعها والسياق النصي Textual Context. ودور المشاركين في النصّ (المرسل والمستقبل) ، وتشمل دراساته النص المنطوق والنص المكتوب على حدّ سواء[٤٧].

وما نعني به من هذا العلم هو كونه منهجاً اسلوبياً في تحليل النصّ يبحث في تماسك النصّ والنظر إليه نظرة شاملة كلية. وبشروط هذا التماسك وأدواته ، ثم الصلة بين التماسك النصي والسياق.

ان تطبيق أطروحات هذا العلم الوافد على النص القرآني كما هي من غير مراعاة خصوصية أسلوب القرآن الكريم تصل بالدارس الى نتائج غير مجدية بل منحرفة عن المنهج العلمي الرصين ، ذلك ان النص القرآني ينأى كثيراً عن النصوص التي اتخذها أصحاب هذا العلم ميداناً تطبيقياً لأطروحاتهم. أمثال هارتمان مؤسس العلم[٤٨] وان كان هذا العلم قد ولد من رحم البنيوية الوصفية القائمة على أجرومية الجملة في أمريكا . وكان مقال (زيليخ

---

[٢] ينظر: مثلاً: دلائل الإعجاز ٧٩، ونهاية الايجاز ١٩ ، والبرهان الكاشف للزملكاني ٢٥ واعجاز القرآن للرافعي١٨٥، والمعجزة الكبرى١٣١ ، ومناهل العرفان ١ / ٥٥ والتعبير الفني في القرآن الكريم١٨٣، وصفاء الكلمة ٥٥ ومن اسرار التعبير في القرآن ١٢١.

[٤٧] - علم الغة النصي بين النظرية والتطبيق ٣٢/١.

[٤٨] - علم اللغة النصي ٥٨.

هاريس) تلميذ بلومفيلد واستاذ تشومسكي ثم مريديه فيما بعد عن (تحليل الخطاب) من معالم الطريق في هذا الاتجاه نفسه[٤٩].

وكذلك سعة أنماط النصوص التي يتناولها هذا العلم ومناهجه تنأى كثيرا عن طبيعة النص القرآني، وخلطه بين النصوص الايصالية والابداعية واللغة المحكية واللغة الفصحى المكتوبة وغيرها .

ان أنماط النصّ الرئيسة كما حددوها هي: نصوص ربط نحو: (وعد ، عقد ، قانون ، أمر)...) ونصوص إرشاد نحو: (إرشاد وخطاب ودفاع ودعاية ، وإعلان ، وخطاب سياسي...) ونصوص اختزان نحو: (ملاحظات ، فهرس ، دليل ، تلفون ، يوميات ، مسودة...) فضلاً عن (الدراسة والرواية والقصة والمسرحية والشعر). ومنها الإعلانات وبطاقات التهنئة والحديث اليومي والأدب الشعبي وغير ذلك مما تناوله كلاوس بينكر في تطبيقه عليها مبادئ التحليل النصي ، الذي يرى مهمة لغة النص هي "وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص التي تعد أساس النصوص الفعلية ، وصفاً منظماً وان يوضح أهميتها لتلقي النص"[٥٠].

ويؤكد المعنيون بهذا العلم صعوبة البحث النصّي للتداخل المعرفي الذي يتطلب دراسة واسعة في فروع مختلفة ، فهو مزيج من النحو والبلاغة والصرف وعلم الأصوات والمعجم والتفسير ، واللسانيات و الأسلوبية وعلم الدلالة ونظرية الاتصال والبراجماتية وعلم المنطق والأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة ومناهج لغوية مختلفة كالوظيفية والسياق والتوزيع والشكلية والتوليدية والوصفية والسيميائية فضلاً عن عدم استقرار مناهجه ذلك انه علم بكر[٥١].

قال أحد المختصين بهذا العلم : " لقد تشعبت المنابع التي استقى منها مفاهيمه و متصوراته ومناهجه واتسم هو نفسه بقدرة فائقة على استيعاب كل ذلك الخليط المتباين ، بل تشكل بنية منسجمة قادرة على الحفاظ على ذلك التداخل... وشكلت الخواص التركيبية والدلالية والايصالية للنصوص صلب البحث النصّي ، بمعنى ان البحث يتحقق على مستويات ثلاثة أساسية هي: المستوى النحوي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي بالمفهوم الواسع له ولا يجيز الفصل بين هذه المستويات"[٥٢].

وثمة محاولات عربية في تطبيق هذا العلم على النصّ القرآني ، أكرهته "على قبول تلك القواعد التي اشتقت من نصوص لغات مختلفة"[٥٣] ، منها عمل الدكتور صبحي الفقي (دراسة تطبيقية لعلم اللغة النصي على السور المكية) ، وتتبعه بالموروث: البلاغي والنحوي وعلوم القرآن كالتفسير وعلم المناسبة الذي يُعدّ جذوراً لهذا العلم في موروثنا القرآني[٥٤].

---

[٤٩] - المصدر نفسه ١/ ٣٦.

[٥٠] - ينظر: التحليل اللغوي للنص.٦٣

[٥١] - علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ٣ ، ١٣.

[٥٢] - نفسه ٩.

[٥٣] - نفسه ١٢.

[٥٤] - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

وقد شملت تطبيقاته أبواب النحو والبلاغة ، وأهم أدوات التماسك التي تناولها في تطبيقه: الضمائر ، التوابع ، العطف ، الإبدال ، التكرار ، الحذف ،علاقات الإسناد كلها ، التماسك المعجمي ، الأسماء الموصولة ، وأسماء الإشارة وغيرها[٥٥].

إلا أن تطبيقاته لم تكن دقيقة بل هي أقرب إلى المشابهة الشكلية بسبب المنهج التقليدي الذي أتبعه من غير الأخذ بما يفيدنا ويناسب النص العربي القرآني ، في ضوء الثقافة الإسلامية ونظام العربية لكونه علماً يعنى بأنظمة اللغة وتماسك النص. ناهيك عن أنها علوم غير مستقرة غالباً ما ينقضها أصحابها الغربيون أنفسهم ويأتون بالجديد.

وأخذ على الموروثين: النحوي والبلاغي ولاسيما جهود الامام عبد القاهر في نظرية النظم ، عنايتهم بالجملة ، اذ عدّوها الوحدة اللغوية الكبرى، وعلم النص يعني بالنص كله، قائلاً "لأن تحليل الجملة يعد قصوراً في الدراسة اللغوية إذ لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي المتمثل في البنية اللغوية الكبرى للنص"[٥٦].

وهو قول إن صحّ على نظرية النظم فلا يصح على الموروث التفسيري والاعجازي وبعض علوم القرآن كعلم المناسبة الذي يرى النص القرآني وحدة كاملة متماسكة كالجملة الواحدة بل كالكلمة الواحدة. وانه يفسّر بعضه بعضاً لتعلق بعضه برقاب بعض ، وقد نوّه نولد نولدكة بذلك إذ رأى أنّ القرآن وحدة مترابطة ترجع كلها إلى معنى (التوحيد)[٥٧].

ثم انه طبق مبادئ هذا العلم على جزء من النص القرآني: (السور المكية) وان كانت نصوصاً كثيرة إلا أنها جزء من نص متماسك هو النصّ القرآني ينبغي ربطها به.

ومن أهم مَنْ طبّق المناهج الغربية الحديثة ومنها علم النص الدكتور تمام حسان إذ مزج بينها وبين الموروث البلاغي والنحوي، وكان الدكتور تمام إلى الموروث أقرب من المناهج الغربية التي خبرها أسلوباً وعرضاً. ففي كتابه (البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)[٥٨] طبق آراءه اللغوية ونظرياته التي ذكرها في كتبه السابقة ومنها : نظرية تضافر القرائن التي فسّر في ضوئها الرخصة والعدول الأسلوبي بعد نضوجها. واتسم بكثرة الشواهد القرآنية لكل ظاهرة أسلوبية او لغوية.

ويهمنا في هذا المبحث القرائن الآتية: التضام والربط والسياق وهو كبرى القرائن. فقد تناول فيها أساليب الربط والتماسك في التركيب القرآني والعلاقات الملحوظة في النصّ القرآني وموقف علماء النص من السياق[٥٩].

ففي ظاهرة التضام قال: "لا يكاد بابٌ من أبواب النحو العربي يخلو من ظاهرة التضام إما في صورتها الايجابية كالافتقار والاختصاص والتوارد ، او في صورتها السلبية كالتنافي او التنافر"[٦٠]. "ومما يقع في حيز القول

---

[٥٥] - نفسه ١٧/١.

[٥٦] - علم اللغة النصّي ١٢.

[٥٧] - ينظر: تاريخ القرآن.٧٧

[٥٨] - طبعة عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الاسرة ٢٠٠٢.

[٥٩] - تنظر الصفحات ١/ ٨٣ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ، ٣٠٤.

[٦٠] - البيان في روائع القرآن ١ /٨٩.

في ظاهرة التضام: الحذف والزيادة والفصل والاعتراض وإدخال اللفظ على غير مدخوله ومنه التضمين وإغناء احد العنصرين عن الآخر والشروط التركيبية لتأليف ألفاظ السياق"[٦١] ثم تناولها كلها بالتفصيل والتمثيل.

والفرق بين الحذف والفصل البلاغي من حيث انه حذف له "خصوصية المقام ما يجعله شيئاً آخر غير مجرد الحذف النحوي. ذلك بان الفصل البلاغي يتم دائماً عن موقف انفعال قد يكون خوفاً او غضباً او استعجالاً او استغراباً او تعجباً وغير ذلك من هذا النحو من المواقف الجديدة"[٦٢] كقوله تعالى: { **وسع ربنا كلّ شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**} (سورةالأعراف ٨٩) الموقف موقف التبرؤ والرَّفض. وشواهد أخر كثيرة ذكرها لم يرد العطف بين التراكيب المترابطة ، لأسباب انفعالية وخصوصية المقام. ولكن لا أرى انها تحتاج إلى رابط أو القول بوجود فاصل بينها وهو حذف حرف العطف إلا من باب التقدير.

وكذلك الأمر لقضية الاعتراض "والمقصود مجرى النمط التركيبي بما يحول دون اتصال عناصر الجملة بعضها ببعض اتصالاً تتحقق به مطالب التضام النحوي فيما بينها والجملة المعترضة في كل أحوالها أجنبية عن مجرى السياق النحوي فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الإعراب وإنما هي تعبير عن خاطر طارئ من دعاء او قسم او قيد بشرط او نفي او وعد او أمر او نهي او تنبيه إلى ما يريد المتكلم أن يلفت إليه انتباه السامع"[٦٣].

لا أرى الاعتراض من باب التضام وتماسك النصّ إلا إذا تكلفنا ذلك و أوّلناه ،إذ معناه يتقاطع مع ارتباط النص ، ناهيك عمّا أورده من شواهد قرآنية أكثرها قدرفيها الاعتراض بحسب منهج النحاة المعياري وبحسب فهمه للنص القرآني نحو قوله تعالى:

{ **في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ولهم عذابٌ أليم بما كانوا يكذبون**} (سورة البقرة ١٠) قال معلقاً: "في الآية اعتراض للدعاء على مرض القلوب المذكرين"[٦٤]

وقد رأيته يمزج بين التحليل الأسلوبي و النحو المعياري ، ويكثر من اعتماده على نحو المتأخرين الممزوج بالمنطق العقلي لا اللغوي ولاسيما لدى أبي البركات الأنباري ، فمن ظواهر التضام التي ذكرها "اغناء أحد العنصرين عن الأخر" مثل لها بأقوال النحاة نحو (اغناء الفتحة عن الكسرة في إعراب ما لا ينصرف وعكسه في جمع المؤنث السالم) و(واغناء (يا) النداء عن الفعل (أدعو) و (اغناء العوض عن المعوض في كل صور التعويض)[٦٥]. وفي المظهر التضامي الذي وسمه باسم ((الشروط التركيبية التي تتضح بتحقيقها خصوصية السياق ومعناه التركيبي)) ثم ذكر تحته قائمة طويلة من القواعد النحوية المعيارية التي وضعها النحاة المتأخرون[٦٦] ناهيك عن استشهاده بشواهد قرآنية للظواهر اللغوية والأسلوبية التي يذكرها بحسب ما يرى بعض المفسرين لمعنى الشاهد القرآني او ما يراه هو. وقد ذكرنا ان المعنى القرآني متحرك وله خصوصية أسلوبية مغايرة عن الأساليب الأخرى بحيث تسمح

---

[٦١] - نفسه ١ / ٩١.

[٦٢] - نفسه ١/ ١١٢.

[٦٣] - نفسه ١/ ١١٥-١١٦.

[٦٤] - نفسه ١ م١١٦.

[٦٥] - البيان ١/ ١٢٤.

[٦٦] - نفسه ١/ ١٢٥-١٢٦.

للمفسرين أن يحملوه على وجوه في بعض شواهده. وبعضها الآخر من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى على خلاف في ذلك.

وفي قرينة الربط الذي مثل لها بمجموعة من الألفاظ لا معنى لها ، لكونها غير مرتبة بحسب قواعد الربط في اللغة: (فحمَدَ في الناس خطيباً عليه وأثنى قال الله زيد ثم قائم) قال الدكتور تمام حسان: "إذا وضعت هذه المفردات نفسها مرتبة ترتيباً آخر معيناً اتضح انها تدل على معنى وذلك اذا قلت: (قام زيد في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال) وتحققت الإفادة منها ، لان المفردات هناك قد رتبت بحسب الأصول المرعية في تركيب النمط"[٦٧] .

وبهذا مثل لقرينة الربط وعلاقته في العربية وهو أمرٌ معروف لدى جميع متكلمي اللغة حتى المبتدئين منهم ، ذلك انه من السياق. ثم ذكر علاقات الربط (كالإسناد والتعدية والمصاحبة والإخراج والتفسير والتبعية والملابسة)، قال: "الأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها ادعى للتذكير وأقوى ضماناً للوصول إليه..."[٦٨] ثم ساق شواهد كثيرة. و قال: " وقد يعني إعادة اللفظ إعادة المعنى" ، وهذا مما وصفه بـ (إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة) . ومنه التكرار[٦٩] ، ومثل له بعشرات الشواهد القرآنية. ثم تناول الضمير بأنواعه الكثيرة ، والمطابقة والإشارة و(أل) التعريف وحروف المعاني ولاسيما حروف العطف[٧٠] والمعية وغيرها من وسائل الربط بالتفصيل والشواهد الكثيرة.

علم المناسبة:

ومن علوم القرآن التي لها صله بنظامه وأسلوبه الذي عني به بعض القدماء والمعاصرين علم المناسبات وهو "علم تعرف منه علل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما ورائه وما أمامه من الارتباط والتعلق "[٧١].

والمناسبة لغة: "المقاربة والمشاكلة "ومرجعها في الآيات إلى معنى رابط بينهما عام او خاص عقلي او حسي او خيالي وغير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني كالسَّبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوها ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٧٢].

وعد السيوطي المناسبة الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن وهو "مناسبة آياته وارتباطه بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني" ، "وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات

---

[٦٧] - البيان ١/ ١٣٧.

[٦٨] - نفسه ١/ ١٣٨.

[٦٩] - نفسه ١/ ١٣٤.

[٧٠] - نفسه ١/ ١٥٦.

[٧١] - تفسير جزء عمّ ، البقاعي ٤١.

[٧٢] - البرهان ، الزركشي ١/ ٣٥ ومعترك الاقران ١/ ٥٧ ، ٥٥.

والروابط"[٧٣]. وقد عني بهذا العلم ايضاً الفخر الرازي في تفسيره الكبير ، وأبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) وغيرهما.

وفي هذا العلم نجد تحليلات أسلوبية دقيقة على طريقة الأسلوبية المعاصرة من حيث إيجاد لمحات دلالية في المناسبة بين الآيات والسور ، اذ يكشف التحليل الأسلوبي لمحات دلالية من مجموع النصّ وشكله وحروفه وأصواته وتركيباته وترتيبه وعدد حروفه وكلماته.

فالبقاعي مثلا يلمح دلالات دقيقة بين عدد كلمات السورة ومعاني أحداث مناسبة نزولها أو حروب نُصرة الإسلام أو تاريخ الهجرة او فتح مكة ، أو استحكام أمر عمر (رض) ويرى في ذلك أسراراً ، وربط كلمات سورة الناس وحروفها بسورة الفاتحة من حيث أنواع الحروف. واستنتج من ذلك قائلا : "إشارة إلى انه تكامل نزول القرآن من أوله إلى أخره في عدد اشتمل عليها كل من سورتي أوله وأخره من السنين وذلك اثنتان وعشرون والثالثة سنة القدوم على منزله الحي القيوم سبحانه"[٧٤].

"ومن سورة الإيلاف (١٠٨) شرع البقاعي في بيان وجوه التقاء طرفي القرآن الكريم ، فكل سورة من السور التسع الأواخر تقابلها سورة من التسع الأوائل ، والعدُ بناء على ذلك يكون تصاعدياً من سورة الإيلاف إلى سورة الناس ، وتنازلياً من سورة التوبة إلى سورة الفاتحة وهكذا..."[٧٥]

[٧٣] - معترك الاقران ١/ ٥٥.

[٧٤] - تفسير جزء عمّ ٥٦٧.

[٧٥] - مقدمة تحقيق: تفسير جزء عمّ ٤٦-٤٧.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

الخاتمة:

إنّ مناهج الدراسات اللغوية والنقدية والأسلوبية الحديثة كثيرة ومتشعبة لا يمكن الاحاطة الكاملة بها وبتفاصيلها ودقائقها أو تطبيقها كما هي تطبيقا تقليدياً على النص القرآني، بقدر الإطلاع عليها وفهمها والاستفادة مما يصلح منها لدراسة النصّ القرآني والعدول في نظامه التركيبي ، وانتخاب ما يلائمه من نظريات الأسلوبية العامة ومناهجها لكونها تطبيقاً ألسنياً على الأدب او اللغة الإبداعية.

إذ ثمة مشكلات في التناول الأسلوبي والمناهج الغربية الحديثة ومحاذير ينبغي الوقوف عليها فضلاً عن علمانيتها وارتباطها بالفكر الغربي المادي او الديني على وفق العقيدة المسيحية او العلمانية، التي تتقاطع مع الجانب الروحي للنصّ القرآني والنظرة القدسية له وللغة العربية.

والنقد العربي الحديث متأثر بالنقد الغربي ومتابع له ومتطفل عليه ولاسيما بالفلسفات المادية، على الرغم من تراثه الغني المبني على النصّ القرآني خاصة. والنقد الغربي الحديث مبني على نصوص الأدب العالمي كجان جاك روسو وغيره وعلى إحياء أساطير تبناها الأدب المعاصر فإذا كان التقاؤهم في الأدب الإنساني والتجربة الإبداعية للأديب لكنهم لا يلتقون في تحليل النص القرآني وخصوصيته وارتباطه بالعربية ونظامها المحكم الذي يختلف عن أنظمة اللغات الأخرى. النصّ المرتبط بالخالق عزّ وجل (المرسل) وبالجانب الروحي لدى (المتلقي) و(الرسالة) المنقولة من الغيب. من هنا يشترط علينا تحديد منهج الدراسة اللغوية وأهدافها وأسسها والتزام الرصانة العلمية والموضوعية والتحقق من الموروث اللغوي قبل البناء عليه، ومن نتائجه ووسائله. فضلا عن ذلك فقد دعا البحث الى أسس منهجية منها: تحديد

دراسة النص القرآني المحفوظ بين دفتي المصحف (الإمام)، وعدم خلطه بالمستويات اللغوية الأخرى كالقراءات واللهجات والضرورات الشعرية وسائر الأدلة النقلية الأخرى لكي تستقيم لنا النتائج

والأساس العلمي الأخر الذي استند اليه هو منهج البحث هو: ملاحظة خصوصية أسلوب القرآن من حيث المرسل والرسالة والمرسل إليه، ومن حيث دلالات الرسالة...

والله أدعو أن يكون هذا البحث لوجهه خالصا، وأن ينفع به من يشاء من الباحثين في أساليب القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الوافدة المعاصرة ، وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة المشهد الحسيني ، القاهرة ، (د.ت).
- الاشباه والنظائر ، جلال الدين السيوطي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٤
- اعجاز القرآن ، ابو بكر الباقلاني ، تحقيق: السيد احمد صقر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣.
- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق: محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، مصر ١٩٥٢.
- البرهان في تناسب سور القرآن ، ابن الزبير الثقفي (٧٠٨هـ) ، تحقيق: د. سعيد الفلاحي ، مطبعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ١٩٨٨.
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (٨٩٤هـ) ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (د.ت).
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، ط٢ ، عالم الكتب ٢٠٠٠م.
- تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، ترجمة: د. جورج تامر ، دار نشر جورج ألز ، نيويورك ٢٠٠٠ .
- التعبير الفني في القرآن الكريم ، د. بكري شيخ امين ، ط١ ، دار العلم للملايين ١٩٩٤.
- تفسير جزء عم ، مقتطف من (نظم الدرر في تناسب الآيات و السور) ،الامام ابراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥) ، تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله ، ط١ ، دار صادر،بيروت ٢٠٠١ .
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، أحمد ياسوف ، ط١، دار المكتبي، دمشق١٩٩٤.
- دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧هـ) ، ط١ ، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، مطبعة الفجالة بمصر ١٩٦٩.
- صفاء الكلمة ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، مطبعة النهضة ، مصر (د.ت).
- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ،نذير حمدان ، ط١ ، دار المنايرة ، جدة – السعودية ١٩٩١ .
- العدول عن النظام التركيبي في اسلوب القرآن الكريم ، (دكتوراه ثانية) ، د. حسن منديل العكيلي ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٨.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية. د.صبحي ابراهيم الفقي ، دار قباء ،القاهرة ٢٠٠٠ .
- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١. مؤسسة المختار ،القاهرة ٢٠٠٤.
- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت).
- في عوالم القرات،د.شلتاغ عبود،ط١ ، دار المعرفة،مطبعة الصباح ١٩٩٩ .
- القرآن دعوة الحق. مقدمة في علم التفصيل لبفرآني، محمد العفيفي، الكويت ١٩٧٦.

- كتاب سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر ١٩٨٨.
- معترك الاقران ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني (د.ت).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، الكويت ١٩٧٥.
- ملاك التأويل ، احمد بن الزبير ، تحقيق: محمود كامل احمد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ن بيروت ١٩٨٥.
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر، (د. ت).
- النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي ، السيد عالم سبيط النيلي ، ط٢ ، مكتبة بلوتو ، بغداد ٢٠٠٣هـ.